المكيدة

هذباء على الغويلى

كَانَ يَا مَا كَان فَي قَدِيمِ الزَّمَانِ فِي غَابَةٍ دَائِمَةِ الإِخْضِرَارِ أَسَدٌ نَامَ وَغَفَلَ عَنْ مَصَالِحِ رَعِيَّتِه وانْشَغَلَ بِمَصَالِحِه الخَاصَّةِ، فَسَادَ الظُّلْمُ وَانْتَشَرَ البَطْشُ وَكَثُرَ التَّحَيُّلُ، وَبَاتَ كُلُّ حَيَوَانٍ يَقْتَاتُ حَسْبَ طَرِيقَتِه .وَكَانَ فِي هَذِهِ الغَابَةِ نَمِرٌ مُرَقَّطٌ اخْتَارَ التَّحَيُّلَ لِكَسْبِ عَيْشِه، وَكَانَ فِي كُلِّ مَرَّةٍ يَتَفَنّنُ فَي حِيلِه لِيَمْلأَ بَطْنَهُ دُونَ أَنْ يَبْذُلَ أَدْنَى جُهْدٍ مِنْ مَكْمَنِه، وَابْتَعَدَ وَلَمَّا وَصَلَ إِلَى وَسَطِ الغَابَةِ حَيْثُ مَمَرُّ كُلِّ الحَيَوَانَاتِ تَمْدَدُّ وَسَطَ

الطَّرِيقِ وَجَعَلَ يَئِنُّ وَيَتَوَجَّعُ .مَرَّتْ بِهِ غَزَالَةٌ فَقَالَتْ لَهُ مِنْ بَعِيدٍ :

–مَا بِكَ أَيُّهَا النَّمِرُ تَئِنُّ وَتَتَوَجَّعُ؟

–إِنَّنِي أَشْعُرُ بِأَلَمٍ فِي مَعِدَتِي يَعْتَصِرُنِي اعْتِصَارًا، فَلَقَدْ أَكَلْتُ تَيْسًا بِكَامِلِهِ ، فَهَلاَّ حَمَلْتِنِي عَلَى ظَهْرِكِ حَتَّى مَكْمَنِي.

قَفَزَتِ الغَزَالَةُ وَابْتَعَدَتْ عَنْهُ، وَقَالَتْ ضَاحِكَةً:

يَمْتَلِئُ ، إِنِّي أَخْشَى عَلَى نَفْسِي مِنْكَ

.

فَقَالَ النَّمِرُ :

–إِنِّي مَرِيضٌ بِالفِعْلِ وَأَحْتَاجُ إِلَى عَوْنِكَ، وَأَعِدُكِ أَلاَّ آكُلَكِ وَأَجْعَلُكِ مِنَ المُقَرَّبِينَ مِنِّي .

ضَحِكَتْ مِلأْ شِدْقَيْهَا حَتَّى كَادَتْ تَقَعُ أَرْضًا، وَقَالَتْ :

–مَاذَا قُلْتَ، مَاذَا قُلْتَ؟ قُلْتَ تَعِدُنِي يَا مُرَقَّطْ، وَمَتَى كَانَ لَكَ عَهْدٌ وَمِيثَاقٌ فَأَنْتَ وَاسِعُ الحِيلَةِ كَثِيرَ الدَّهَاءِ .

ثُمَّ أَرْدَفَتْ قَائِلَةً :

–أَرْجُو لَكَ الشِّفَاءَ .

ثُمَّ وَدَّعَتْهُ وَرَاحَتْ تَعْدُو بَعِيداً .

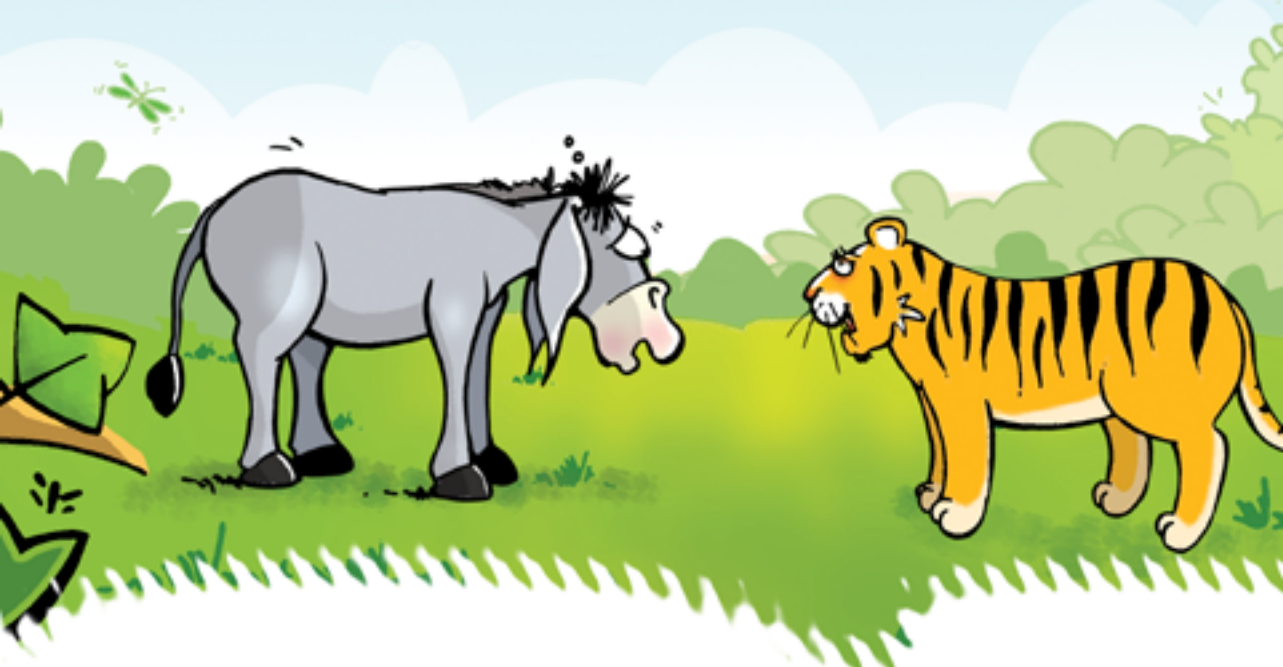

اشْتَدَّ غَضَبُ النَّمِرِ وَتَمَنَّى فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ لَوْ يَلْحَقُ بِهَا فَيَقْسِمَهَا نِصْفَيْنِ أَوْ يَخْلِطَ عَظْمَهَا بِلَحْمِهَا وَشَحْمِهَا .لكِنَّ بَطْنَهُ الفَارِغَةَ جَعَلَتْهُ يَكْظِمُ غَيْظَهُ وَيَتَمَادَى فِي تَصَنُّعِ المَرَضَ .وَبَعْدَ مُدَّةٍ قَصِيرَةٍ مَرَّتْ بِهِ زَرَافَةٌ تَتَهَادَى فِي مِشْيَتِهَا،وَلَمَّا سَمِعَتْهُ يَئِنُّ، اْبْتَعَدَتْ أَكْثَرَ وَقَالَتْ مِنْ بَعِيدٍ :

–مَا بِكَ يَا وَاسِعَ الدَّهَاءِ هَذِهِ المَرَّةَ؟

رَفَعَ النَّمِرُ رَأْسَهُ مُتَأَوِّهًا قَائِلاً :

–آهٍ يَا أُخَيَّتِي لَقَدْ تَنَاوَلْتُ وِجْبَةً دَسِمَةً سَبَّبَتْ لِي وَجَعًا فِي مَعِدَتِي، فَبِتُّ عَاجِزًا عَنْ حَمْلِ نَفْسِي وَالوُصُولَ إِلَى مَكْمَنِي، فَهَلاَّ أَسْدَيْتِ لِي مَعْرُوفًا وَحَمَلْتِنِي عَلَى ظَهْرِكِ حَتَّى مَكْمَنِي؟

ضَحِكَتْ الزَّرَافَةُ مُتَرَنِّحَةً ، وَقَالَتْ :

–أُسْدِي لَكَ مَعْرُوفًا، مَتَى كَانَ ذُو الأَنْيَابِ القَوِيَّةِ وَالمَخَالِبِ الحَادَّةِ فِي حَاجَةٍ إِلَى مَعْرُوفٍ، إِنِّي أَخْشَى إِنْ حَمَلْتُكَ عَلَى ظَهْرِي أَنْ تَغْرِزَ أَنْيَابَكَ فِي عُنُقِي وَأَظافِرَكَ فِي ظَهْرِي فَتُرْدِينِي قَتِيلَةً .

وَقَبْلَ أَنْ يُوَاصِلَ النَّمِرُ كَلاَمَهُ قَالَتْ لَهُ :

–أَرْجُو لَكَ الشِّفَاءَ، كَمَا أَرْجُو أَنْ تَجِدَ ظَهْرًا غَيْرَ ظَهْرِي يُوصِلُكَ حَيْثُ تُرِيدُ .ثُمَّ وَلَّتْ هارِبَةً.

ازْدَادَ غَضَبُ النَّمِرِ، وَقَالَ لَهَا هَمْسًا :

xسَوْفَ نَلْتَقِي يَوْمًا، وَسَأَرْكَبُ ظَهْرَكِ شِئْتِ أَمْ أَبَيْتِ يَا ذَاتَ الرَّقَبَةِ الطَّوِيلَةِ .ثُمَّ عَادَ إِلَى أَنِينِهِ وَتَوَجُّعِهِ مَرَّةً أُخْرَى .

مَرَّ عَلَيْهِ فِيلٌ وَقِرْدٌ وَأَرْنَبٌ، لَكِنَّ الجَمِيعَ أَدْرَكُوا مَكْرَهِ وَخُبْثَهِ .كَادَ النَّمِرُ أَنْ يَفْقِدَ الأَمَلَ فِي وُجُودِ فَرِيسَةً سَهْلَةً طَيِّبَةً تَكُونُ وَلِيمَةَ عَشَائِهِ، لَكِنَّهُ قَالَ مُخَاطِبًا نَفْسَهُ :

–الصَّبْرُ مِفْتَاحُ الفَرَجِ، مَا ضَرَّنِي لَوْ بَقِيتُ سُوَيْعَاتٍ أُخْرَى .فَكُلُّ حِيَلِي السَّابِقَةَ كُلِّلَتْ بِالنَّجَاحِ، وَانْطَلَتْ عَلَى مَعْشَرِ الأَغْبِيَاءِ، ولاَبُدَّ أَنْ تُكَلَّلَ حِيلَتِي هَذِهِ المَرَّةَ أَيْضًا بِالنَّجَاحِ .

وَبَيْنَمَا كَانَ يُحَدِّثُ نَفْسَهُ، مرّ بِالقُرْبِ مِنْهُ حِمَارٌ مُتَثَاقِلٌ، رَفَعَ النَّمِرُ رَأْسَهُ وَقَالَ فِي نَفْسِهِ:

–قَدْ جَاءَ الحِمَارُ بِالفَرَجِ .

وَضَاعَفَ مِنْ أَنِينِهِ وَتَوَجُّعِهِ، وَاقْتَرَبَ مِنْهُ الحِمَارَ وَقَالَ لَهُ :

–مَا بِكَ يَا سَيِّدِي النَّمِرِ؟

تَهَلَّلَتْ أَسَارِيرُ وَجْهِ النَّمِرِ، وَقَالَ بِصَوْتٍ يُغَالِبُهُ الأَلَمُ :

–صَدِيقِي وَرَفِيقِي الحِمَارِ، لَقَدْ أَكَلْتُ غَزَالَةً دَسِمَةً خَلَّفَتْ لِي

آلاَمًا فِي مَعِدَتِي حَتَّى أَصْبَحْتُ عَاجِزًا عَنْ العَوْدَةِ إِلَى مَكْمَنِي»

فَهَلاَّ أَسْدَيْتَ لِي مَعْرُوفًا أَيُّهَا الصَّدِيقُ، وَحَمَلْتَنِي عَلَى ظَهْرِكَ، حَيْثُ مَكْمَنِي .

قَالَ الحِمَارُ بِكُلِّ بَلاَدَةِ ذِهْنٍ :

–أَخْشَى إِنْ قَدَّمْتُ لَكَ مَعْرُوفًا أَنْ أَكُونَ مِنَ الخَاسِرِينَ .

قَالَ النَّمِرُ مُتَكَلِّفًا فِي ضِحْكَتِهِ :

–لاَ تَجْعَلْنِي أَيُّهَا الصَّدِيقُ أُصَدِّقُ مَا يُقَالُ عَنْ مَعْشَرِ الأَحْمِرَةِ؟...

قَالَ الحِمَارُ مُسْتَغْرِبًا :

–وَمَا يُقَالُ عَنَّا أَيُّهَا القَوِيُّ،

قَالَ النَّمِرُ:

–أَوَّلاَ تَعْرِفُ أَنْ جَمِيعَ الحَيَوَانَاتِ تَنْعَتُكُمْ بِالغَبَاءِ، وَيَبْدُو أَنَّ

هَذَا صَحِيحٌ .فَكَيْفَ لِي أَنْ آكُلَكَ وَبَطْنِي تَكَادُ أَنْ تَنْفَجِرَ شِبَعًا .فَبَطْنِي بَعْدَ هَذِهِ الوَلِيمَةِ لاَ يُمْكِنُ أَنْ تَسَعَ مِقْدَارَ ذُبَابَةٍ، فَاقْتَرِبْ وَلاَ تَخَفْ، فَإِنْ أَسْدَيْتَ لِي هَذَا المَعْرُوفَ أَجْعَلُكَ مِنَ صَفْوَتِي وَأَصْدِقَائِي وَأُجَازِيكَ جَزَاءً حَسَنًا .

فَرِحَ الحِمَارُ بِمَا سَمِعَ، وَاطْمَأَنَّ قَلْبُهُ .دَنَا مِنْهُ وَانْحَنَى فَقَفَزَ النَّمِرُ فَوْقَ ظَهْرِهِ، ثُمَّ قَالَ :

–سِرْ أَيُّهَا الصَّدِيقُ، إِنَّ مَكْمَنِي لَيْسَ بَعِيدًا وَسَوْفَ أُقَدِّمُ لَكَ وِجْبَةً مِنَ الشَّعِيرِ الخَالِصِ .

فَلَمَّا وَصَلاَ المَكْمَنَ، وَعِوَضَ أَنْ يَنْزِلَ النَّمِرُ وَيَشْكُرَ الحِمَارَ عَلَى صَنِيعِهِ غَرَزَ أَظَافِرَهُ فِي ظَهْرِهِ فَصَاحَ الحِمَارُ قَائِلاً :

–مَاذَا تَفْعَلُ أَيُّهَا الصَّدِيقُ؟

انْفَجَرَ النَّمِرُ ضَحِكًا وَقَالَ :

–صَحِيحٌ إِنَّ مَعْشَرَ الأَحْمِرَةِ أَغْبِيَاءُ .

ثُمَّ غَرَزَ أَنْيَابَهُ فِي عُنُقِهِ فَأَرْدَاهُ قَتِيلاً .

وَكَانَ لِلحِمَارِ ابْنٌ عُرِفَ عَلَى غَيْرِ مَا عُرِفَ بِهِ بَنُو جِنْسِهِ بِالمَكْرِ وَالدَّهَاءِ، وَقَدْ سُمِّيَ بِصَاحِبِ الأُذُنَيْنِ القَصِيرَتَيْنِ لِقِصَرِ أُذُنَيْهِ .افْتَقَدَ صَاحِبُ الأُذُنَيْنِ القَصِيرَتَيْنِ وَالِدَهُ فَرَاحَ يَبْحَثُ عَنْهُ فِي الغَابَةِ، فَأَخْبَرَهُ غُرَابٌ شَهِدَ الوَاقِعَةَ بِمَا حَدَثَ لأَبِيهِ .فَأَخَذَ صَاحِبُ الأُذُنَين القَصِيرَتَيْنِ العَهْدَ عَلَى نَفْسِهِ بِأَنْ يُخَلِّصَ الغَابَةَ مِنْ شَرِّ هَذَا الدَّاهِيَةِ اللَّئِيمِ .وَصَادَفَ أَنْ مَرَّ صَاحِبُ الأُذُنَيْنِ القَصِيرَتَيْنِ مِنْ وَسَطِ الغَابَةِ فَرَأَى النَّمِرَ يَتَصَيَّدُ فَرِيسَتَهُ كَالعَادَةِ، فَقَالَ فِي نَفْسِهِ :

–إِنَّهَا الفُرْصَةُ المُنَاسِبَةُ وَلَنْ أَجِدَ غَيْرَهَا .وَاقْتَرَبَ مِنَ النَّمِرِ وَقَالَ لَهُ :

– –مَا بِكَ يَا سَيِّدَ القَوْمِ؟

بَرَقَتْ عَيْنَاهُ وَلَمَعَتْ أَنْيَابُهُ، وَقَالَ :

–آهْ، يَا عَزِيزِي لَوْ تَعْلَمُ مَا أَصَابَنِي لَرَقَّ قَلْبُكَ لِحَالِي .لَقَدْ امْتَلأَتْ بَطْنِي أَكْلاً فَأُصِبْتُ بِعُسْرٍ فِي الهَضْمِ حَتَّى بِتُّ عَاجِزًا عَنِ العَوْدَةِ إِلَى مَكْمَنِي، فَهَلاَّ أَسْدَيْتَ لِي مَعْرُوفًا وَحمَلْتَنِي عَلَى ظَهْرِكَ إِلَى مَكْمَنِي؟

قَالَ صَاحِبُ الأُذُنَيْنِ القَصِيرَتَيْنِ فِي نَفْسِهِ :

–يَا لَئِيمُ لَنْ تَنْطَلِيَ عَلَيَّ حِيلَتُكَ كَمَا انْطَلَتْ عَلَى وَالِدِي، فَسَأُجَرِّعُكَ مِنَ الكَأْسِ الَتِي شَرِبْتَ مِنْهُ ضَحَايَاكَ عَلْقَمًا .

قَالَ النَّمِرُ :

–فِيمَ تُفَكِّر يَا عَزِيزِي، أَعِدُكَ إِنْ فَعَلْتَ أَنْ أُقَدِّمَ لَكَ وِجْبَةً مِنَ الشَّعِيرِ الخَالِصِ وتَكُونَ مِنَ المُقَرَّبِينَ عِنْدِي .

قَالَ صَاحِبُ الأُذُنَيْنِ القَصِيرَتَيْنِ :

–أَخْشَى إِنْ فَعَلْتَ أَنْ تَغْدِرَ بِي فَأَكُونَ لُقْمَةً

–أَخْشَى إِنْ فَعَلْتَ أَنْ تَغْدِرَ بِي فَأَكُونَ لُقْمَةً سَائِغَةً لَكَ .

قَالَ النَّمِرُ :

–كَيْفَ لِي أَنْ أَغْدِرَ بِكَ وَأَنْتَ تُقَدِّمُ

لِي مَعْرُوفًا، أَلَيْسَ جَزَاءُ الإِحسَانِ

إِلاَّ الإِحْسَانُ

سَخِرَ مِنْهُ صَاحِبُ الأُذُنَيْنِ

القَصِيرَتَيْنِ فِي نَفْسِهِ

وَخَاطَبَ نَفْسَهُ قَائِلاً :

–لَنْ تَنْطَلِيَ عَلَيَّ

حِيلَتُكَ هَذِهِ المَرَّةَ وَلَنْ

تَخْدَعَنِي بِمَعْسُولِ كَلاَمِكَ،

وَسَنَرَى لِمَن الغَلَبَةُ يَا مُرَقَّطُ؟

قَالَ النَّمِرُ :

–لاَ تُفَكِّرْ كَثِيراً يَا عَزِيزِي، فَالآلاَمُ

تَعْتَصِرُنِي اعْتِصَارًا، وَأُرِيدُ أَنْ أَمُوتَ فِي بَيْتِي.

قَالَ صَاحِبُ الأُذُنَيْنِ القَصِيرَتَيْنِ :

–سَأَحْمِلُكَ يَا مُرَقَّطُ، وَلَكِنْ لِي شَرْطٌ فِي ذَلِكَ.

وَقَبْلَ أَنْ يَسْمَعَ شُرُوطَهُ قَالَ النَّمِرُ:

–مُوَافِقٌ .

ثُمَّ قَالَ فِي نَفْسِهِ :

–مَهْمَا كَانَتْ شُرُوطُكَ يَا قَصِيرَ الأُذُنَيْنِ سَوْفَ أَفْتَرِسُكَ .

قَالَ صَاحِبُ الأُذُنَيْنِ القَصِيرَتَيْنِ :

xأَنْتَ يَا سَيِّدِي شَدِيدُ البَطْشِ، لَكَ أَنْيَابٌ قَاطِعَةٌ وَمَخَالِبُ حَادَّةٌ، وَلاَ حْمِلَكَ عَلَى ظَهْرِي يَجِبُ أَنْ أُقَيِّدَكَ وَأُكَمِّمَكَ، وَعِنْدَمَا نَصِلُ وَتَنْزِلُ مِنْ فَوْقِ ظَهْرِي أَفُكُّ وِثَاقَكَ وَأَنْزَعُ عَنْكَ الكِمَامَةَ.

قَالَ النَّمِرُ:

xوَكَيْفَ لِي أَنْ أَدُلَّكَ عَلَى مَكْمَنِي وَأَنَا مُكَمَّمٌ.

اِبْتَسَمَ صَاحِبُ الأُذُنَيْنِ القَصِيرَتَيْنِ وَقَالَ:

xوَمَنْ فِي الغَابَةِ لاَ يَعْرِفُ بَيْتَكَ أَيُّهَا القَوِيُّ، وَأَنَا سَأَحْمِلُكَ حَيْثُ تَرْتَاحُ وَتُشْفَى مِنْ آلاَمِكَ .

فَقَالَ النَّمِرُ فِي نَفْسِهِ :

–يَا لَهُ مِنْ غَبِيٍّ فَاقَ فِي الحُمْقِ أَبَاهُ، يَظُنُّ أَنَّنِي بِالفِعْلِ مَرِيضٌ، وَسَأُرِيهِ بَطْشِي وَمَرَارَةَ انْتِقَامِي عِنْدَمَا نَصِلُ.

كَمَّمَ صَاحِبُ الأُذُنَيْنِ القَصِيرَتَيْنِ النَّمِرَ المُرَقَّطَ، وَقَيَّدَهُ وَحَمَلَهُ عَلَى ظَهْرِهِ ثُمَّ سَارَ بِهِ .مَشَى صَاحِبُ الأُذُنَيْنِ القَصِيرَتَيْنِ مَسَافَةً طَوِيلَةً حَتَّى قَلِقَ المُرَقَّطُ، وَمَلَّ، ثُمَّ قَالَ :

–أَلَمْ نَصِلْ بَعْدُ يَا صَاحِبَ الأُذُنَيْنِ القَصِيرَتَيْنِ؟ أَجَابَهُ :

–إِنَّنَا نَقْتَرِبُ يَا سَيِّدِي فَلَمْ يَبْقَ إِلاَّ القَلِيلُ .

وَبَعْدَ نِصْفِ سَاعَةٍ قَالَ صَاحِبُ الأُذُنَيْنِ القَصِيرَتَيْنِ مُتَهَكِّمًا :

–لَقَدْ وَصَلْنَا يَا صَاحِبَ السُمُوِّ.

وَأَنْزَلَهُ مِنْ فَوْقِ ظَهْرِهِ .فَقَالَ النَّمِرُ:

–هَلاَّ فَكَكْتَ قَيْدِي وَأَزَلْتَ كِمَامَتِي؟ فَفَعَلَ الحِمَارُ، وَشَهَقَ النَّمِرُ فَزَعًا، وَقَالَ:

–هَذَا لَيْسَ مَكْمَنِي، وَمَا كُلُّ هَذِهِ الأَحْمِرَةِ؟ أَجَابَهُ صَاحِبُ الأُذُنَيْنِ القَصِيرَتَيْنِ:

–مَرْحَبًا بِكَ فِي وَادِي الحَمِيرِ .

عِنْدَئِذٍ أَدْرَكَ المُرَقَّطُ أَنَّهُ وَقَعَ فِي الفَخِّ الذِي نَصَبَهُ لَهُ الحِمَارُ .فَبَدَأَ يَتَوَسَّلُ وَيَبْكِي وَيَطْلُبُ العَفْوَ وَالصَّفْحَ، فَاقْتَرَبَ مِنْهُ صَاحِبُ الأُذُنَيْنِ القَصِيرَتَيْنِ، وَقَالَ لَهُ :

–وَهَلْ أَشْفَقْتَ أَنْتَ لِحَالِ وَالِدِي آخِرَ حِمَارٍ افْتَرَسْتَهُ .

ثُمَّ هَجَمُوا عَلَيْهِ رَكْلاً وَرَفْسًا وَدَهْسًا حَتَّى تَهَشَّمَتْ عِظَامُهُ، وَاخْتَلَطَ عَظْمُهُ بِشَحْمِهِ وَلَحْمِهِ .بَعْدَ ذَلِكَ أَلْقُوا بِهِ فِي وَادِي الغَابَةِ .وَبِذَلِكَ خَلَّصَ صَاحِبُ الأُذُنَيْنِ القَصِيرَتَيْنِ سُكَّانَ الغَابَةِ مِنْ أَحَدِ كِبَارِ المَكَرَةِ وَالطُّغَاةِ، فَلاَ أَحَدَ يَتَحَمَّلُ الظُّلْمَ حَتَّى وَإِنْ كَانَ حِمَارًا، فَعَاقِبَةُ الظُّلْمِ وَخِيمَةٌ.

وَمِنْ ذَلِكَ اليَوْمِ أَصْبَحَ لِلأَحْمِرَةِ شَأْنٌ عَظِيمٌ بَيْنَ سُكَّانِ الغَابَةِ.

وَبَاتَ كُلُّ مُحْتَالٍ لَئِيمٍ يُعِدُّ أَلْفَ حِسَابٍ لِلأَحْمِرَةِ، وَلِكُلِّ المَخْلُوقَاتِ الضَّعِيفَةِ.